أناديك يا ملكي وحبيبي

محمد علي شمس الدين

.... ما الذي يجعل الارض اصفر مما تكون ؟
.... امدّ لهيبا الى جسمها
ونفتح باب الجنون
.... فالنجوم التي مال ميزانها
.... تعبت
ثم ألقت على حجر رأسها كي تنام
من رأى جثة في الظلام
فليقل انها نجمتي
لست ابكي
.... ولكنه القلبأمسى على آخر النبض
والبدر في فلك الميتين
قليلا
واوضح هذا الحنين
. . . .
خبّرتني الطوالع قالت :
سيأتي زمان ويولد في حارة الماء قربالمصلى
صبيّ تقبله امه قبلة النار بين العيون
ثم تتركه يتدرّج في الريح
أو يتمادى فيلعب لعبته القاتله
احمد الآن مرتحل في كتاب السماوة
يعبد نرجسة اسمها جسدي
يعتلي جبلا شاهقا
ثم يشرف منه على نفسه ويقول :
« اذا شئت حفّت بي على كل سابح
رجال .... »
ــ : تخاطب من أيها الحالم في الارض ؟
ــ : اخاطب نفسي
ــ : ومن انت يا سيدي ؟
ــ : انا حارس هذا الركام
ــ : تلفت حواليك . ماذا ترى ؟
ــ : ارى ؟
لقد قلعوا درّة بين جفني وبين السماء
ارى آسيا دمية لا تضاء
ــ : وماذا تقول النجوم ؟
ــ : ان في القمح شيئا من الدم
حتى الكلام الذي قاله زارعالحقل
امسى وريدا
ترجل اذن أيها الخارجي القديم
كل شيء هنا قابل للخديعة :
.... النساء الرجال البحار السماء الكلاب
الممالك
لست ابكي
ولكنه القلب أمسى على آخر النبض فليحضر
الاصدقاء
« تلمست من يبكي عليّ فلم أجد
سوى النيل .... »
عانقته ، ففرقنا معا
هذه زرقة الطين والشمس
اني لأسمع نبض المياه
وأسمع غرغرة مثل حنجرة الناي او مثل
عصفورة خائفة
سأختار أحلى الصبايا
وأجلسها قرب صدري
على مفرق القلب ، من جهة اليسار
واطلق صوتي على طائر للغناء :
... غدا حين يأتي على فرس مثل زهر القرنفل
وتلوين كفيك من شدة العشق أو شدة الانكسار
غدا حين يأتي وحيدا منالحرب أو من غبار السلام
فلا تقفلي الباب أو تقفلي غرفة للكلام
. . . .
اطلقوا طلقة للذي جاء في قارب الشمس من قبره
فجأة كان يهوي على هرم للاغاني
تذوب الجبال الرمال الدمى
يذوب الزبد

تذوب البحار التي تفصل العاشقين
ولكنني خائف أن تكون البحـــار التي بيننا غير موصلة للهوى
ان مرجانة القلب مفقودة
وأنا عابر في بقايا القصور القديمة
أغثني اذن يا زمان الوصال
اعتلي صهوة الحلم : هذا حصاني
.... وسيفي
.... واغنيتي المشتهاة
وامضي الى الحرب ، فلتبرزوا واحدا
واحدا
دار حول المدينة شوطين
ثم ارتمى فجأة في المداخل

أنا فارس للغبار
سأرسل رمحي مع الجبناء
واجلس في حانة أشربالخمر أو أنتهي فيالضحك
كان لا يأكل خبزا
ولا يحتسي غير أشعاره
كان منطرحا مثل بابعظيم علىمدخلالانبياء
. . . .
تأتيه الشمس من الكتفين فترحل قامته
وتغيبالشمس عنالكتفين فترحل قامته
كغزال أفلت من أسر الغابات
كان يجالسني في يوم الكرادة في بغداد
يجاذبني أطراف العالم
ويجاذبني أطراف حديث لا يفهمه الآنا
كنا لا نشرب غير بريق النجم
ولا نركب الا الطوفان
كان نبيا
ويشاغب أحيانا
يلوي أعناق الريح ويبتكر الكلمات فيبتكر الاشياء
ويقول بأن الله تكلم في حنجرة العصفور وحنجرة الوادي
وتلعثم في حنجرة الانسان
لا بأس
بريء منك الله اذن
وبريء منك الشيطان وخاوية صلواتك مثل
... بكاء الريح على زبد الشطآن

فاغرف من نفسك حتى لا تنكر نفسك
يا ملكي وحبيبي
ما الذي يجعل الارض أصغر مما تكون ؟
خبرتني الطوالع قالت :
سيأتيزمان تدور الطواحين ضد الهواء
وتندلع النار في كبرياء الفيوم
وينمو على ضفة النيل طفـــل عجيب
بثديين فلتقتلوا واحدا
واحرصوا أن تكون العلامة وجه القمر
. . . .
أي بدر هنا طالع خلف دهر من الصلوات
يعلن القرويون أفراحهم
يدعون القيامه
ولكنه نبأ كاذب ونعاس قديم
ليس لي ندم غير هذا الهوى :
انهم خدعوني
انهم عرضوا جثتي في مزاد
.... بفلسين من فضة كاذبه
هذه نقطة القتل
هل أمتطي كبريائي
وأرحل نحو الاقامة ؟
ما الذي يجعل الارض أصغر مما تكون ؟
جواد وحيد بلا فارس
وسيف بلا ساعد وقافلة من حداء حزين
كل طفل تهيئه أمه
للاقامة في غابة الشعر
أو
للاقامة في غابة العاشقين
. . . .
. . . .
قيل في الحرب ينكسر الحالمون على الحلم
تبتدىء الروح أحوالها القمرية
ليس هذا بكائي لجبران
لكنني أعلم ان الكآبة سرّي
وانك يا سيدي وحبيبي
تبادلني السر
فاخفض جناحك عندي
ودعني احبك حتى الندم
. . . .
كان يجالسني فوق العشب على أكتاف مدينته
ويجاذبني أطراف الحلم وأطراف العالم

ينظر آونة للبحر
...... وآونة
...... ينظر في بحر كآبته
فتهاجر من جفنيه حمامة وعد تظهر بعد الطوفان
ويقول بأن الله تكلم في حنجرة العصفور وحنجرة الوادي
وترنم في حنجرة الانسان
لا بأس
قريب منك الله اذن
وصلاتك أعظم من هذا البحر
وأبعد من تلك الشطآن
فاغرف من نفسك حتى تعرف نفسك يا ملكي
وحبيبي
. . . .
قال :
ثم انحنى باتجاهي :
ـ تكتم السر ؟
قلت : أكتمه
قال : تسمع مني وتنسى
نبدأ في الموت ولا نتعداه
فالموت هو الاحلام الموصولة
سجل :
.... أبصرت هلالا ينشقّ فيسقط منه الماضي
ورايت دما يتسرب نحو المستقبل
تابعت الخيط المتدرّج حتى آخر نقطة دم
فوجدت نساء فوق سطوح بيضاء يعاتبن الارواح
أيديهن الى الاذقان
.... ومتجهات نحو الشرق
النسوة مذعورات يركضن فأسمع وقع حوافرهنّ
.... على قلبي
.. قلت اذن فلأبدأ طلباتي :
لم يكن غير شخص وحيد
وجهه أصفر
ويداه علامه
صحت : هذا انا
.... وارتميت
ولكنه كان متهما
والاصابع ذاهبة باتجاهه
وكان حزينا
ويومىء نحوي ....
. . . .
أطلقت صراخا وحشيا حتى تسمعه الارض فتسمعه أمي
لكن الباب .
. . . .
فهرعت الى المرآة لأبصر آثار الخوف على وجهي
فوجدت بصفحتها وجهين يقول الاول للثاني :
من أنت ؟
فيسأله من أنت ؟
. . . .
.... انها وحدتي
ترجل اذن أيها الحزن
يا أصغر الكائنات الجميلة
ودعني أقبّل عينيك
دعني أشمّ القميص الملوث بالدم
والشفة الذابله
ودعني قليلا لأسند قلبي
على حجر في مدى أورفليس
علّني أستردّ الكآبة
سلام عليك
سلام عليك
سلام على ملكي
و
حبيبي

بيروت